

الدكتور عمر سليمان الأشقر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الرابعة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

شارع بيروت مقابل بريد حولي القديم
تلفون 2641985 - 2647784 فاكس
ص.ب: 4848 الصفاة الرمز البريدي 13049 الكويت
برقيا: لغاتكو



دار النفائس
للنشر والتوزيع - الكويت

النقرة - شارع موسى بن نصير
قرب دوار الفارابي - هاتف 2629583
ص.ب: 6609 حولي 32041 الكويت

الصوم في ضوء الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

« فاتحة لكل خير وتمام لكل نعمة »



إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وبعد :-

ففي كل عام يأتي شهر كريم ، شهر رمضان ، تفتح فيه أبواب الجنان ، وتوصد أبواب النيران ، وتفتح أبواب السماء ، وتُسلسل الشياطين .

يجيء هذا الشهر ليوقظنا من غفلتنا ، ويغير من إلفنا ، ويذكرنا بأمجادنا : ففيه أُنزل القرآن وفيه كانت معركة الفرقان ، أول معركة يتحقق فيها نصر الإسلام ، وفيه تم الفتح المبين ، بفتح مكة البلد الأمين .

هذا الشهر ، شهر القرآن ، وشهر الغفران ، وشهر الرحمة والتجليات ، فحري بنا أن نغتنم فرصته ، فنصوم نهاره ، ونشغله بالطاعات ، ونحيي ليله بالقيام ، وحق للأخيار ان ينتظروا مقدمه ، ويسروا بلقياه كما يفرح الأهل بلقاء العائد بعد

الأوبة من سفر طويل .

وهذه أخي كلمات في الصيام مستمدة من مشكاة الكتاب والسنة ، تبين شيئاً من أحكامه وحكمه وفضائله ، أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه ، وأن ينفع بها عباده وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد .

عمر سليمان الأشقر

* * * *

الفصل الأول

فضائل الصوم وحكمته

أرأيت عملا يصلح النفوس ويسمو بها ، ويدفع إلى اكتساب المحامد ، والبعد عن المفاسد ، ويقوي العزائم ، ويقوم الارادة ، ويصلح الأبدان ، ويبرىء الأسقام ، ويقرب العبد من ربه ، وبه تُغْفَرُ الذنوب وتُكَفَّرُ السيئات ، وتُزادُ الحسنات ، وتُرْفَعُ الدرجات ، وعندما يبعث الناس من قبورهم يكون صاحبه من المقربين الأخيار ، ذلك العمل هو الصوم .

الصوم ينشىء التقوى في القلوب : -

وعندما ننعم النظر فيما ورد فيه ندرك كل هذا واضحاً جليا، انظر إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّها الّذين آمنُوا كُتِبَ عَليكُمُ الصِيَامُ كَما كُتِبَ عَلى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمُ تَتَّقون**﴾ [البقرة ١٨٣] . تعلم أن الله فرض علينا الصوم لينبت التقوى في قلوبنا ، والله إنما يكرم العباد لتقواهم ، فهو سبحانه لاينظر إلى صور العباد وأشكالهم بل إلى قلوبهم التي هي محل التقوى ، وأعمالهم

القائمة على أساس من التقوى ، ولذلك كان التفاضل عند الله بها ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وهذه الغاية المرادة بالصوم هي الغاية من العبادات جميعا ، كما نصَّ الله تعالى على ذلك بعد أمره للناس جميعا بعبادته وحده : ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ وهذه التقوى هي التي يعبأ الله بها من أعمالنا ﴿ لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها ولا دِماؤُها ولَكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] .

وحقيقة التقوى أن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته ، يعرف عظمته وقهره وجبروته وقدرته فيخاف منه ويفزع ، فيحاذر أن يقع في معصيته ، ويعرف رحمته ومغفرته ونعمه التي لا تحصىٰ ، وما أَعَدَّهُ لعباده المؤمنين فإذا به يسارع إلى رضاه ، ولا ينال العبد ذلك إلا بالمداومة على الطاعة وإقامة الفرائض والازدياد من النوافل ، وفق ما أمر به الله ، وعمل به الرسول عليه السلام ، وما أحسن ما فسرِ به طلق بن حبيب التقوى حيث يقول : « التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تبتعد عن معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله » . وسبيلها الاحسان . . « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . وقد حكم القرآن على الطائفة التي اتصفت بصفة

التقوى أنها الطائفة المفلحــة ، قال تعالى في حقها : ﴿ **أُولئِكَ على هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحون** ﴾ .[البقرة : ٥] .

والصيام بما فيه من استجابة لأوامر الله ، ومسارعة لرضاه ، وترك لمحبوبات النفوس ومطلوباتها بدون رقابة سوىٰ رقابة الله ، ينشيء التقوىٰ في القلوب ، وبصلاح القلوب تصلح الأعمال ، وبصلاح القلوب والأعمال تصلح الأمـة التي جعلها الله قـائدة لركب الانسانية وهادية إلى سبيل الرشاد .

الصائم يُوَفَّى أجره بغير حساب : ـ

ولما كان الصوم سراً بين العبد وربه ـ إذ لايطلع على صدق العبد في هذا غير خالقه ـ كان الثواب والأجر عليه لايدخل تحت القاعدة التي يحاسب الناس بها « الحسنة بعشر أمثالها » كما يقول عليه السلام.رواه البخاري .

إنما الذي يقدر أجر الصـائم هو الله وحـده ، يقول عليـه السلام فيما يرويه عن ربه : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » حديث قدسي رواه البخاري في صحيحه ؛ ذلك أن الصوم من الصبر ، والصابـرون يُوَفَّـوْنَ أجورهم بغيـر حساب، وكان السلف يسمون شهر الصوم شهر الصبر.

الصيام يمنع من الذنوب : -

والصيام جنة ووقاية يقي العبد الذنوب والمعاصي ، والبغيض من الكلام والسيء من الفعال ، وبذلك يتقي العبد النار ، يقول الرسول ﷺ : « والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ولا يصخب » . رواه البخاري .

والرفث : الفاحش من الكلام ، والنهي عن الجهل نَهْيٌ عن أفعال أهل الجهل ، كالصياح والسفه والتعدي ، فالصيام حصن منيع ، يحصن الانسان من الشيطان وخطواته ، ويمنع صاحبه من أن ينزلق في الأقذار والأرجاس ويبالغ الرسول ﷺ في توجيه الصائم إلى الأمثل والأفضل حين يأمره بأن لايرد السيئة بمثلها إذا ما أسيء للقائم بالصيام يقول عليه السلام : « وإن امرؤ قاتله - أي الصائم - أو شاتمه فليقل إني امرؤ صائم مرتين . » البخاري .

وبذلك يتبين لنا مدى الخطأ الذي يقع فيه كثير من المسلمين باعتقادهم أن الصوم يبرر الخطأ ، وضيق الصدر ، فكم سمعنا من قائل يقول لمن أصابه ضرر من أحد الصائمين : دعه فإنه صائم ، وهذا خطأ بين فاحش ناشىء من الجهل بدين الله .

حكمة بالغة للناظر المعتبر : -

في خلال العام يتعود الجسم على وجبات معينة من الطعام يتناولها وهو يطلب الماء كلما أحس بحاجة إليه ، وهو يواقع زوجته في الأوقات التي أباحها الله ، وهذا الألف متى طال أمده فإنه يعبد الانسان لهواه وشهوته وينسيه الغاية التي خلقه الله من أجلها ، والتي من أجلها أوجد الله له الطعام والشراب كي يستعين به على طاعة الله ، فإذا أصبحت الأمور من طعام وشراب ونكاح همَّ العبد وشاغله ، أسرته وأذلته وصار عبداً لها ، وبذلك يتحقق فيه قول الرسول ﷺ : « تَعِسَ عَبْدُ الدينار ، تَعِسَ عَبْدُ الدرهم ، تَعِسَ وانْتَكَسَ ، وإذا شَيْكَ فَلا انتقَشَ » . وما أحسن ما قاله العلامة المناوي في كتابه فيض القدير موضحا هذه الحكمة : « إنما شرع الصوم كسراً لشهوات النفوس ، وقطعا لأسباب الاسترقاق والتعبد للأشياء ، فإنهم لو داوموا على أغراضهم لاستعبدتهم الأشياء ، وقطعتهم عن الله ، والصوم يقطع أسباب التعبد لغيره ، ويورث الحرية من الرق للمشتهيات ، لأن المراد من الحرية أن يملك الأشياء ولا تملكه ، لأنه خليفة الله في ملكه ،[1] فإذا ملكته فقد قلب

(١) انظر كتاب « تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير » (١ : ٣٩) لتقف على المعنى الحقيقي لقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

الحكمة ، وصَيَّرَ الفاضل مفضولاً والأعلىٰ أسفلاً ، ﴿ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغيكُمْ وَهُـوَ فَضَّلَكَمُ عَلىٰ العَـالَمِينَ ﴾ والهـوىٰ إلـٰهٌ معبـودٌ ، والصـوم يـورث قـطع أسبـاب التعبـد لغيـره » . انتهى كـلام المناوي .

ففي هذا الشهر يخرج الانسان علىٰ إلفه وعادته ومحبوبات نفسه ، وتغيير هذا الإلف والعادة وإن كان يشق على النفس ، فإنه ينفعها ويفيدها ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهوا شَيْئاً وَهُوَ خيرٌ لَكُمْ ﴾ . ﴿ وَأَنْ تَصـومُوا خَيْـرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمون﴾ والصيـام يقـوي العزيمة ، ويفيد في التخلص من كثيرٍ من الأمراض الفتاكـة ، فنرىٰ كثيراً من الأطباء يعالجون بعض الأمراض حتى المستعصية بـالصوم وقـد جرب التـداوي بالصـوم فنفع ذلـك في كثير من الأمراض .

طيب ريح فم الصائم :

ومن عجائب الصوم وفضائله أنَّ ما يكرهه الناس من ريح فم الصائم ، يكون عنـد الله طيباً محبـوباً ، « والـذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريـح المسك » حـديث صحيح رواه البخاري .

باب خاص للصائمين في الجنة : ـ

ومن تكريم الله للصائمين أن خصَّهم الله سبحانه بباب خاص بهم لايدخل منه أحد غيرهم يقول عليه السلام : « إن في الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لايدخل منه أحدٌ غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق ، فلم يدخل منه أحد » رواه البخاري ، ولما كان الصائم من **أشدّ** ما يعانيه العطش ، فقد سمى باب الصائمين باسم « الريان » للدلالة على ما سيصير إليه حالهم من الري .

شهر تفتح فيه أبواب الخير وتغلق أبواب الشر :

لذلك كان شهر رمضان خير الشهور ، والعمل فيه أفضل من العمل في غيره ، فإذا قدم هذا الشهر : « فتحت أبواب الجنة ، وفتحت أبواب السماء ، وأغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين » . رواه البخاري .

وسلسلة الشياطين حسم لمادة الشر ، وبذلك يتلمس القلب طريقه إلى النور والهدى بخلو المانع ، وهذا يفسر لنا السر في أَوْبَةِ كثيرٍ من الضالين في هذا الشهر .

بالصوم تغفر الذنوب المتقدمة : ـ

وكفىٰ الصائم أجراً ما بشره به الرسول ﷺ في الحديث

الذي يرويه البخاري في صحيحه : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

الغفران مشروط بشرطين : -

ولكن علينا أن ننتبه إلى قوله ﷺ : « ايماناً واحتساباً » فبدونهما لايستحق الصائم الأجر الذي بَيَّنَهُ المصطفى عليه السلام ، ذلك أن الايمان والاحتساب هما مدار الفرق بين العادة والعبادة فبدونهما يكون الصوم إرثا وتقليداً قلما يدفع صاحبه إلى الخير وقلما ينهاه عن الشر . فالذي يصوم لعلمه أن الله ربه فرض عليه الصيام ، ويستجيب لندائه وبذلك ينال المغفرة ، وتكفر عنه السيئات ، كما قال ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » رواه مسلم . أما ذلك الصائم لا إيمانا ولا احتسابا بل رياء أو عادة ، فلا ينفعه صيامه والله غني عن صومه . وقال ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه . » رواه البخاري والنسائي والترمذي وغيرهم . .

وبشرى للذين يصومون ايمانا واحتساباً فالعاقبة حميدة ، والقدوم على الله مفرح . « للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » حديث متفق عليه .

الفصل الثاني

فرض الصوم على أحوال

الآية التي أوجبت صوم رمضان : ـ

عندما نزل قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ على الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ ﴾ أصبح الصوم مفروضا واجباً ، يؤكد الوجوب قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدَى للنَّاسِ وَبيِّناتٍ مِنَ الهُدى والفُرقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

كيف كان الصوم قبل فرض رمضان : ـ

وقد كان الرسول ﷺ يصوم عاشوراء في مكة ، ـ كما رواه البخاري في صحيحه ـ فلما قدم المدينة جعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، كما رواه عنه الامام أحمد في مسنده ، وصام عاشوراء وقد وجد اليهود في المدينة يصومونه فسألهم عن سبب صيامهم له ، فقالوا : هذا يوم صالح نَجَّى الله فيه موسى من الغرق ، فقال الرسول ﷺ : « أنا أَحَقُّ بموسى منكم » . فصامه

وأمر بصيامه . رواه البخاري . وبذلك أصبح صيام هذا اليوم واجباً ، فقد روىٰ ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صام عاشوراء وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك . رواه البخاري .

ومعلوم أن الرسول ﷺ ترك صومه على سبيل الوجوب وبقي صيامه مستحباً . ومما يوضح الوجوب ما رواه البخاري عن الربيع بنت معوذ أن النبي ﷺ بعث غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : « من أصبح مفطرا فليتم بقيه يومه ، ومن أصبح صائما فليصم » قلت : فكنا نصومه ونُصَوِّم صبياننا . رواه البخاري .

الصوم بعد فرض رمضان : ـ

وعندما نزل الأمر بصيام رمضان رخص الله لمطيقي الصيام ويرغبون في الفطر أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكيناً واتبع ذلك بذكر أفضلية الصوم . روىٰ البخاري عن ابن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ : نزل رمضان فشق عليهم ، فكان من أطعم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه ، ورخص لهم في ذلك . وهذا معنىٰ قوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةُ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ ثم نسخ الله جواز الإطعام بالنسبة للقادرين وأوجب عليهم الصيام . روى البخاري ذلك عن ابن أبي ليلىٰ ،

ومن الصحابة عن ابن عمر وسلمة بن الأكوع . والآية الناسخة هي قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ . وبذلك أصبح صيام رمضان واجباً ، وركنا من أركان الاسلام ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « بني الاسلام على خمس : شهادةُ أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمداً رسـول الله ، وإقام الصـلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان » . متفق عليه .

وعن طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى الرسول ﷺ ثائر الرأس ، فقال : يا رسول الله ! أخبرني ماذا فرض الله علي ؟ قال : « الصلوات الخمس إلا أن تتطوع شيئا » فقال : أخبرني ماذا فرض الله عَلَيَّ من الصيام ؟ فقال : « شهر رمضان الا أن تتطوع شيئا » رواه البخاري .

* * * *



الفَصْل الثالث

المُدّة التي يمسك فيها الصَّائم

الصوم الشرعي هو الامساك عن المفطرات من الطعام ، والشراب ، والوقاع ، بنيَّة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ثم يباح ذلك كله طوال الليل ، وقد كانت المفطرات مباحة في أول الاسلام من غروب الشمس حتي ينام الصائم ، فإذا نام حَرُمَ عليه الطعام والشراب والوقاع حتى غروب اليوم التالي ، وقد شق ذلك على بعض الصحابة ، فقد روى البخاري عن البراء بن عازب ، قال : كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً ، فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وإنَّ قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما ، فحضر الافطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت : لا ، ولكن انطلقُ فاطلبُ لَكَ ، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته فلما رأته قالت : خيبةً لك ، فلما انتصف النهار غشي عليه ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إلىٰ نسائِكُمْ** ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً ، ونزلت : ﴿ **وَكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الخَيْطِ الأَسْوَدِ**

مِنَ الفَجْرِ ﴾ فاستقر الأمر على تحريم الطعام والشراب والوقاع من تبين الفجر إلى الليل ، وإباحته طوال الليل بعد أن كان يحرم بالنوم . والمقصود بالخيط الأبيض والخيط الأسود : سواد الليل وبياض النهار ، لأن الله تبارك وتعالى قال بعد ذلك ﴿ مِنَ الفَجْرِ ﴾ وعليه يدل الحديث الذي يرويه البخاري عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت ﴿ **حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأبيضُ مِنَ الخيْطِ الأسودِ مِنَ الفَجْرِ** ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر في الليل فلا يتبين لي ، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت ذلك كله فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » ولذلك يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي ترويه عائشة رضي الله عنها : « كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر » رواه البخاري .

ويستمر الصائم ممتنعا عن الطعام والشراب حتى تغيب الشمس كما روىٰ البخاري من قوله ﷺ : « إذا أقبل الليل من هنا فقد أفطر الصائم » .

وروىٰ أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه كان يفطر حين يغيب قرص الشمس .

وأمر الرسول ﷺ بتعجيل الفطر ، ففي الحديث المتفق عليه من حديث سهل بن سعد يقول الرسول عليه السلام : « لايزال

الناس بخير ما عجلوا الفطر » وقد كان الرسول ﷺ يعجل الفطر ، روى ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه ، قال : كنا مع الرسول ﷺ في سفر فقال لرجل : « انزل فاجدح لي » قال : يا رسول الله ! الشمس . قال : « انزل فاجدح لي » قال : يا رسول الله ! الشمس . قال : « انزل فاجدح لي » فنزل فجدح له ، فشرب ، ثم رمىٰ بيده هاهنا ، ثم قال : « إذا رأيتم الليل أقبل من هنا ، فقد أفطر الصائم » . رواه البخاري .

وروى ابن حبان والضياء بسند صحيح أن الرسول عليه السلام قال : « إنا معشر الأنبياء أُمرنا بتعجيل فطرنا ، وتأخير سحورنا ، وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة » .

أما تأخير الفطر حتى تطلع النجوم ، أو إلى ما بعد ذلك ، فهو مخالف للسنة المحمدية ، وليس من التقوىٰ التي يقتضيها الصيام ، وهو من التنطع في الدين ، وتكلفٌ منهيٌ عنه .

ويحسن بالصائم أن يعجل الفطر على تمر ، فإن لم يجد فماء في أول وقت الفطر ، ثم يبادر إلى صلاة المغرب في أول الوقت ، فيجمع بين الحسنيين ، تعجيل الفطر ، وتعجيل المغرب ، أما تأخير المغرب إلى ما بعد تناول العشاء فليس من السنة .

صيام الصبيان وتأديبهم

ومن المعروف أن مناط التكليف في الاسلام ، البلوغ مع

الرشد للرجال والنساء ، ولكن علىٰ أولياء الأمور أن يرعوا أبناءهم في صغرهم ، ويربوهم على تحمل تكاليف الاسلام حتى تسهل على نفوسهم وينشأوا على حبها ويداوموا عليها ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه أبو داود باسناد حسن . ورواه الترمذي بلفظ : « علموا الصبي الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشر سنين » .

وقد كان الرسول عليه السلام والصحابة يقومون بتربية الناشئة على الأدب الكريم ، وعلى التزام أحكام الاسلام ، فقد رأىٰ الرسول عليه السلام غلاما تطيش يده في الصحفة أثناء الطعام ، وكان يأكل مع الرسول ، فقال له الرسول عليه السلام معلما مؤدبا : « يا غلام ! سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

ويبقىٰ أثر هذا التأديب في نفس الغلام ما دام حيا ، استمع إليه وهو يقول ـ أعني الغلام ـ : فما زالت تلك طعمتي بعد . رواه البخاري ومسلم .

وروىٰ البخاري عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت : كنا نصوِّمُ صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الافطار .

فهكذا تربية الرسول ، وكذلك رَبَّ الصحابة الكرام أبناءَهم ، فخرجت أجيال مسلمة تنشر الخير في ربوع الأرض ، وعاشت بالاسلام وللاسلام ، أما أن نترك أبناءنا وبناتنا يقضون أوقاتهم في الطرقات وفي منابت السوء ، ينشأون على الفاسد من الأخلاق والذميم من الأفعال ، فيشتد عودهم على ذلك ، وتشحن قلوبهم وتُشغل بغير الاسلام ، ثم نريدهم بعد بلوغهم سن الرشد مسلمين يعملون بالاسلام ويدعون إليه فإنهم لايستجيبون لنا ، ولا يلقون بالاً لحديثنا ، ويكون مثلنا كمثل من يريد أن يجني من الشوك العنب ، ونقضي بعد ذلك الوقت في الحسرة والندم إذا ابتعد شباب الاسلام عن الاسلام ، وضلوا في منحنيات الطريق ، والحق أن السبب الأول المسؤول عن بُعْدِ الشبيبة عن الاسلام هم الآباء والأمهات وأولياء الأمور ، والعجب كل العجب أن يبحث الأب لأبنائه عن خير لباس وأفضل طعام وأهنأ سكن ثم لايبحث لهم عن المربي الفاضل ، ولا يلقنهم الصحيح من الاخلاق والأفعال ، جاهلا أو متجاهلاً أنه بذلك يلقي بفلذة كبده في نار مستعرة لا تخبو ، وقودها الناس والحجارة ، فأين الرحمة ، وأين الشفقة ، وأين الحنان : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذيْنَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارةُ عَلَيْها مَلآئِكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُون الله مآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ ما يؤمَرون** ﴾ .

وليعلم الحكام والآباء ان الله سائلهم عن كل ذلك يوم القيامة ، روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

فأبناؤكم أمانة في أعناقكم فعلموهم الاسلام ، وأدبوهم بأدبه ، وعرفوهم بربهم ورسولهم ، وربوهم على الصلاة وعودوهم الصوم ، وعرفوهم القرآن وتلاوته ، وصلوهم بربهم فهو خير لكم إن كنتم تعلمون .

الاعذار المبيحة للفطر

الفرق بين تشريع وتشريع : -

إن الفرق بين تشريع البشر وتشريع خالق البشر ، كالفرق بين البشر وبين خالقهم ، فلذلك يأتي تشريع الناس للناس تشريعا ناقصاً معوجاً ، مفرطاً حيناً ومفرّطاً أحيانا ، يصيب الحقيقة مرة ويخطئها مرات لا تحصى ، ذلك لأن البشر يتصفون

بصفات النقص ، ﴿ واللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمونَ شيئاً ﴾ ، وعِلْمُهُمُ الذي يدركونه فيما بعد علم جزئي محدود ، يحتاج دائماً إلى تغيير وتحويل وتبديل وتطوير ، أما تشريع الله فهو تشريع كامل كاف عادل ، لأن الله يتصف بصفات الكمال ، فهو العليم الذي يشرع للبشر ما يصلحهم ، وينهاهم عما يفسدهم ، بناء على علمه المحيط الشامل ، وهو عادل لايشرع لحساب طبقة من الناس دون أخرى ، بل الناس سواسية في ميزان الحق ، يتفاضلون بالتقوىٰ والعمل الصالح ، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها ، فلذلك جاء تشريعه وافياً باحتياجات الانسان مصلحاً لحياته ، مقوماً لاعوجاج نفسه ، مراعياً مع ذلك ضعفه وبشريته ، وما يطرأ عليه من أحوالٍ تؤثر فيه .

الرخصة للمريض والمسافر في الفطر : -

وهكذا نجد الله تبارك وتعالى يرخص لنا في الفطر في حال السفر والمرض علىٰ أن نقضي عدة الأيام التي افطرناها بعد انقضاء رمضان بعد أوبة المسافر وبرء المريض ، ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيامٍ أُخَرٍ ﴾ ونلمح السماحة واليسر في هذا التشريع واضحاً جلياً في هاتين الحالتين ﴿ يُريدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ ﴾ وإن وجد المسافر قدرة

على الصيام وأحب ذلك فله أن يصوم ، فقد روىٰ البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ : أأصوم في السفر ؟ وكان كثير الصوم ، قال : « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » . وهكذا كان الرسول عليه السلام وصحابته يصومون في السفر ويفطرون ، روىٰ ابن عباس : « أن الرسول عليه السلام عندما خرج إلى مكة صام حتى بلغ الكديد ، افطر فأفطر الناس » . رواه البخاري .

وإذا كان الصوم يشق على الإنسان في السفر وأحب أن يصوم فله ذلك إن لم يمنعه عن القيام بما يجب عليه من أعمال ، روىٰ البخاري عن أبي الدرداء قال : خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة . رواه البخاري . فان أدىٰ الصيام بالمرء إلى إضعاف قواه وإنهاكها واحتياجه إلى غيره في أموره ، فالأفضل في حقه الفطر ، فقد كان النبي ﷺ في سفر ورأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه ، فقال : « ما هذا؟» فقالوا : صائم ، فقال : « ليس من البر الصوم في السفر » رواه البخاري .

وروىٰ البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خرج النبي ﷺ في رمضان والناس صائم ومفطر ، فلما استوى على راحلته دعا باناء من لبن وماء فوضعه على راحلته ثم نظر الناس .

وفي رواية أخرى له عن ابن عباس : ثم دعا بماء فشرب نهاراً ليراه الناس . ولمسلم عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن الرسول ﷺ قيل له : إن الناس شق عليهم الصيام ، وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر .

وله من وجه آخر عن جعفر : ثم شرب ، فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام ، فقال : « أولئك العصاة » .

وهذا يدلنا على أن للمسافر أن يفطر في أثناء النهار ولو استهل رمضان في الحضر ، والحديث نَصٌّ في الجواز ، إذ لا خلاف في أن الرسول ﷺ استهل رمضان في عام غزوة الفتح وهو بالمدينة ثم سافر في أثنائه ، وقد كان الرسول ﷺ يعزم على أصحابه أن يفطروا في السفر في الجهاد عند القرب من العدو ، فقد روى مسلم عن أبي سعيد : سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام فنزلنا منزلا ، فقال النبي ﷺ : « إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » . فكانت رخصة فمنا من صام ، ومنا من أفطر فنزلنا منزلا فقال ﷺ : « إنكم مصبحو عدوكم فالفطر أقوى لكم فأفطروا » فكانت عزيمة فأفطرنا ، ثم لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ﷺ في السفر. وهذا السبب الذي من أجله نسب الرسول ﷺ الصائمين إلى العصيان حين عزم عليهم فخالفوا .

نوع السفر والمــرض اللذين يباح الفطر بهما : -

يجب أن نعلم أن المرض الذي يجوز الفطر به هو المرض الذي يزيد بالصوم ، أو يتأخر برؤه به ، أما المرض الذي لايؤثر فيه الصوم فلايجوز لصاحبه الفطر .

الصيام بعد تيسر سبل المواصلات : .

وقد يتوهم بعض الناس أن الفطر في هذه الأيام في السفر غير جائز أو أنه خلاف الأولىٰ ، بسبب تيسر المواصلات ، وتوفر سبل الراحة فيها ، فهؤلاء نذكرهم بقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّـكَ نَسِيًّـا ﴾ وبقـولـه : ﴿ والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمـون ﴾ . فتشريع الله للناس تشريع دائم لا يختص بجزء من الأمة دون بقية الأمة ، ولا بزمن دون زمن ، ولا بمكان دون مكان ، ذلك أنَّ منزل هذا الشرع هو خالق الانسان والزمان والمكـان ، العليم الخبير الذي يعلم حاجة الناس وما يصلحهم وما يصلح لهم ، وقد يوضح هذا الأمر ما نشره بعض الباحثين الخبـراء ، من أن انتقال الجسم المفاجىء السريع من بلد إلى بلد ، له تأثير سيء على الجسم ، وقد يفقد الانسان قواه لحين من الوقت ، ويؤثر على حواسه ، أسوق هذا لنعلم أنه قد يكون وراء تشريع الله من الحِكَم ما لانعرفه ثم قد يتكشف لنا أو لا يتكشف ، فلا يجوز أن

نخضع أحكام الله لآرائنا وعقولنا ، بل يجب أن يكون موقفنا كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَىٰ اللهُ ورَسُولُهُ أمراً أَنْ يكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ .

الحائض والنفساء : ـ

ومن الذين رَخَّص الله لهم في الفطر في رمضان الحائض والنفساء ، ولكن يجب عليهما الفطر ولا يباح لهما الصوم بحال حتى تطهرا ، فمتى طهرتا صامتا ، وقد صح عن النبي ﷺ من حديث عن أبي سعيد الخدري : « أليس إذا حاضت لم تصم ، ولم تصل ؟ ! فذلك نقصان دينها » رواه البخاري .

ورواه مسلم من حديث ابن عمر : « تمكث الليالي ما تصلي ، وتفطر في رمضان ، فهذا نقصان في الدين » .

وعلى الحائض والنفساء قضاء عدة ما أفطرتاه بعد انقضاء رمضان .

الحامل والمرضع : ـ

وممن يلحق بالمريض الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما ، أو شق عليهما الصوم فلهما الفطر وعليهما قضاء عدة ما أفطرتاه ، فعن أنس بن مالك الكعبي ، قال:قال

رسول الله ﷺ : « إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة ، والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى » . قال صاحب مشكاة المصابيح : رواه أبو داود ، والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال المحقق (الشيخ ناصر الدين الألباني) : اسناده جيد .

وحصل الخلاف بين العلماء هل عليهما شيء آخر غير القضاء ؟ فمن العلماء من أوجب أن يُطعما مسكينا عن كل يوم أفطرتاه ، ومن ذهب إلى وجوب الاطعام مع صيام عدة الأيام فليس لديه دليل يوجب الاطعام .

الكبير الهرم والمريض المزمن : -

ويلحق بالمريض أيضا الشيخ الكبير الذي لايستطيع الصوم ، ولكن لايجب عليه القضاء ولا على المريض الذي لايرجى بُرؤه ، لأنهما لايصيران إلى حال تمكنهما من الصيام ، وهل يجب عليهما الاطعام عدة الأيام . صح النقل بذلك عن ابن عباس ورواه البخاري عن أنس من فعله إذ كان يفطر لكبره ويطعم عن كل يوم مسكينا .

من أكل أو شرب ناسيا فليتم صومه

الانسان مخلوق ضعيف ؛ ولذلك يقع منه الخطأ أحيانا ،

ويتنكب جادة الصواب أحيانا أخرى لتغلب هوى النفس ، والله يعلم ذلك من الانسان وفي ذلك قال : ﴿ **وخُلِقَ الإنْسانُ ضَعِيفاً** ﴾ وقد يقع الخطأ من الصائم فيأكل أو يشرب ناسيا ولا إثم عليه في ذلك لقول الرسول ﷺ : « إن الله عفا لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » . ولايفسد صومه بهذا النسيان . يقول عليه الصلاة والسلام : « إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » . رواه البخاري .

أما مَنْ غَلَبَتْهُ شهوته فأفطر متعمداً فقد أتىٰ جرماً عظيماً ، وإن كان الفطر بجماعٍ فعليه الكفارة ، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل ، فقال : يا رسول الله ! هلكت وأهلكت ، قال : « مالك ؟ » قال : وقعت على أهلي في رمضان ، فقال رسول الله ﷺ : « هل تجد رقبة تعتقها؟» قال : لا . قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال : لا ، قال : « فهل تجد إطعام ستين مسكينا ؟ » قال : لا ، قال:فمكث النبي ﷺ ، فبينما نحن على ذلك أتىٰ النبي بعرق فيه تمر ـ والعرق : المكتل ـ قال : « أين السائل ؟» فقال : أنا ، قال : « خذها فتصدق بها » فقال : على أفقر مني يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من بيتي . فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ، ثم قال : « أطعمه أهلك » رواه البخاري ، فهذه القصة

التي وردت في هذا الحديث تبين كفارة الجماع في رمضان .

أمـا من أفطر بـطعام أو شـراب متعمداً فليس عليـه كفارة الجماع خلافا لمن يرى ذلك من العلماء ، والذي يدعونا إلى القول بهذا عدم وجود الدليل الموجب للكفارة بعمـد الطعـام والشراب ، وقياسه على الجماع قياس مع الفارق مع أن القياس في العبادات لايجوز .

ولكن هل يقضي من أفطر متعمداً بجماع أو غيره يوماً مكانه أم لا؟ بلزوم القضاء ، قال سعيد بن المسيب ، والشعبي ، وابن جبير ، وإبراهيم ، وقتادة ، وحماد ، وعن أبي هريرة يرفعه : «من أفطر في رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وإن صامه به» رواه البخاري تعليقاً[1] ، وقد صح أن الرسول ﷺ قال لمن جامع في رمضان : «وصم يوماً واستغفر الله»[2] وغير الجماع من مباشرة وتقبيل لا تفسد الصوم فهذه عائشة رضي الله عنها تروي لنا أن النبي ﷺ كان يقبل ويباشر وهو صائم ، وكذلك روت أم سلمة أن الرسول ﷺ كان يفعل ذلك ، رواه البخاري .

---

(١) رواه البخاري تعليقا غير مجزوم ، وقـال الترمـذي : سمعت محمدا ـ يعني البخاري ـ يقول : أبو المطوس اسمه يزيد بن المطوس ولا أعرف له غير هذا الحديث . انتهى . وقال البخاري أيضا : لا أدري سمع أبوه من أبي هريرة أم لا . وقال ابن حبان : لايجوز الاحتجاج مما انفرد به والله أعلم .
الترغيب والترهيب (٢ : ٢٢٣) ـ ورمز فضيلة الشيخ محمـد ناصـر الدين الألباني بالضعف لهذا الحديث في تخريجه للترغيب .

(٢) انظر: فتح الباري : (١٧٢/٤) وإرواء الغليل : (٩٠/٤)

أما من جامع في رمضان فطلع عليه النهار ولم يغتسل فصيامه صحيح . روى البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدركه الفجر في رمضان وهو جنب من غير حلم فيغتسل ويصوم .

ويجوز للصائم المضمضة والاستنشاق ، والاغتسال والتطيب والتكحل .

وقد أمر الرسول ﷺ بالسواك عند كل صلاة ، ورغب في الاكثار من استعماله ولم يأت دليل يخصص رمضان ، وينهى عن استعمال السواك فيه ، وقد يحتج بعض من يرى عدم جواز استعمال السواك بالحديث الذي يرويه البخاري : « ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » ، بحجة أن السواك يذهب هذا الخلوف ، ويكفي في الاجابة على هذا الزعم عموم الأحاديث التي تحث على الاستياك دون تحديد لزمن معين مع العلم أن هذه الرائحة ، مصدرها المعدة لا الفم والاسنان ، وبذلك يثبت جواز استعمال السواك في رمضان بل استحبابه ، وقد يفرق بعضهم فيجيز استعماله قبل الزوال ، ويكرهه أو يمنعه بعد الزوال وهذا تفريق بغير مفرق يدل على التفريق ، وكذلك يقال بالنسبة للمضمضة والاستنشاق ، لأن الرسول ﷺ فعل ذلك وأمر بالاستنشاق بدون تفريق بين رمضان وغيره ، وقال الحسن البصري : لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم ، وقال ابن مسعود : إذا كان يوم صوم أحدكم فليصبح دهينا مترجلا . ولم يَرَ

أنس والحسن وإبراهيم بالكحل بأسا للصائم،روى ذلك عنهم البخاري في صحيحه ، فإن دخل الماء إلى حلق الصائم بدون أن يملك لـه دفعاً فـلا شيء عليه ، روى البخـاري ذلـك عن عطاء ، وصح عن الرسول ﷺ أنه قال : « إن الله عفا لي عن أمتي الخطأ والنسيان » . وأما القيء فيرى أبو هريرة أنه لايفطر الصـائم ، لأنـه يخـرج ولايـولـج ، وبهـذا يقـول ابن عبـاس وعكرمة ، ويرى فريق آخـر من العلماء أن القيء عمـداً يفطر الصائم بخلاف من غلبه القيء فقاء وهذا هو الصحيح .

أما الحجامة فنهى الرسول ﷺ عنها ، ثم رخص فيها ، فعن أنس قال : أول ما كرهت الحجامة للصائـم أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم فمر به النبي ﷺ فقال : « أفطر هذان » ثم رخص بعد في الحجامة فكان أنس يحتجم وهو صائم رواه الدار قطني . وذكر البخاري عن أنس أنه سئل : أكنتم تكرهون الحجامة للصائم ؟ فقال : لا .

والحجامة استخراج الدم الفاسد طلبًا للاستشفـاء بجرح الرأس ثم يمص هذا الجرح من قبل الحاجم .

وصـح عن الـرسـول ﷺ من روايـة ابن عبـاس أنـه احتجم وهو صائم ، وذكر البخاري عن سعد وزيد بن أرقم وأم سلمـة أنهم احتجموا صيـاما ، وذكـر عن بكير عن أم علقمـة قالت : كنا نحتجم عند عائشة فلا تنهى .

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

كان من حكمة الله أن جعل التعرف على بداية الشهر القمري الذي تُبنىٰ عليه الأحكام الشرعية ، مستطاع لجميع الأمة ، لا يختص بجماعة دون جماعة ، كما هو الحال في الشهور الشمسية ، وبذلك يأمن المسلمون من التلاعب بالأحكام المتعلقة بالشهور ، ويأمنوا من البلاء الذي وقعت فيه الأمم الماضية ، إذ تلاعب العلماء والحكام منهم في الصوم بالتقديم والتأخيروالزيادة والتغيير ، فمتى رأى المسلمون هلال رمضان فعليهم الصوم ، ومتى رأوا هلال شوال فعليهم الفطر ، فإن حال دون الرؤية غيم أو غبار ، فعليهم أن يتموا العدة ثلاثين يوما ، روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه» وفي رواية له : « إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإذا غم عليكم فاقدروا له » رواه البخاري . وفي رواية : « الشهر تسعة وعشرون ليلة ، فلا تصوموا حتى تروه ، فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » .

وروى الدارقطني وأبو داود بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أنّي رأيته فصام وأمر الناس بصيامه .

ومن هذه الرواية نعلم أنه يكفي شهادة الواحد لاثبات دخول شهر رمضان وكذلك لاثبات دخول شهر شوال للفطر .

ووقع الخلاف فيما لو رأى المسلمون الهلال في قطر دون قطر فهل يجب على البلد الذي لم ير الهلال الصوم ؟ الصحيح ـ والله أعلم ـ القول بالوجوب لعموم الحديث : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، ويرى ابن عباس أنه لايصوم إلا القطر الذي رآه دون الذي لم يره ، روى ذلك مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عنه .

أفضل ما يشغل به الصائم نفسه

وصف الرسول ﷺ الصوم بأنه جُنَّة ، لأنه يقي الصائم النار ، وذلك لأن الصائم يمسك عن الشهوات التي حُفَّت بها النار علاوة على أن الصائم يترك محبوبات نفسه التي أحلها الله له في الصيام . فعليه أن يتخلى عن الرذائل والفواحش ، ويترك الناس من أذاه ، وعليه أن يتحلىٰ بالجميل من الصفات والحسن من الأخلاق ، والفاضل من الأعمال وبذلك يسلك الصوم بصاحبه سبيل التقوى حيث ينال مرضات الله .

أما أن يصوم العبد عما أحله الله في غير الصيام ، ويفطر عما حَرَّمَهُ عليه في رمضان وغير رمضان من قبيح الكلام ، وسفيه

الفعال ، وسماع الباطل ، وحضور مجالس السوء فإنه بذلك يدخل في وعيد رسول الله ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .

وأفضل ما يشغل به الصائم نهاره : ذكر الله والتقرب إليه سبحانه بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ، فهذه هي الباقيات الصالحات التي يدوم نفعها ويبقى أجرها . وعلى الصائم أن يلح في طلب الغفران فإنه شهر فاضل وموسم من مواسم العبادة ، وموطن حَرِيٌّ أن يستجاب فيه الدعاء ، خاصة إن اقترن الاستغفار والدعاء بقلب حاضر ، ونية صادقة صالحة ، وكان الدعاء مشروعا لا عدوان فيه .

ومن أفضل الأعمال حضور مجالس العلم وحلقاته ، خاصة في بيوت الله ، فإنها مجالس مرحومة ، تتنزل عليها السكينة من الله ، وتغشاها رحمته وتحف بها ملائكته ، ويذكر الله أهلها في من عنده من الملائكة الكرام ، لأنها المجالس التي يدرس فيها كتاب الله ، وتبين فيها سنة رسول الله ﷺ .

وكثرة تلاوة القرآن وتدارسه في رمضان عمل شرعه رسول الله ﷺ ، وفعله الصحابة ، روى ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في

رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة » . رواه البخاري .

ويدل على استحباب الاكثار من قراءة القرآن في هذا الشهر ، أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدى وَالفُرْقَانِ** ﴾ .

والاكثار من الصدقة في هذا الشهر أمر مرغوب فيه ، وحبذا لو أخرج الصُوَّام فيه زكاة أموالهم وخصوه بها دون غيره من الشهور ، لازدادوا خيرا على خير لأن الثواب فيه مضاعف .

تسحروا فإن في السحور بركة

السحور مشروع للصائم وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال : « تسحروا فإن في السحور بركة » رواه مسلم وغيره ، وكلما أخر السحور إلى آخر الليل كان أفضل ، لقول المصطفى ﷺ : «إنا معاشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا ، وتأخير سحورنا» .

والسحور مما يميز صيامنا عن صيام أهل الكتاب ، ففي الحديث الذي يرويه عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : «إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور» . رواه مسلم والنسائي وغيرهما .

على أي شيء يفطر الصائم

روى أنس بن مالك عن الرسول ﷺ أنـه كان يفـطر على رطبات قبل أن يصلي فإن لم تكن رطبات فتمرات ، فإن لم تكن تمـرات حسى حسوات من مـاء . رواه أحمد والتـرمذي وأبـو داود .

وعن سلمان بن عامر الضبي قال : قـال رسول الله ﷺ : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور » رواه أبو داود والترمذي .

ويستحب للصائم أن يقول عند فطره ما رواه ابن عمر أن الرسول ﷺ كان يقول إذا أفطر : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله » . أخرجه أبو داود والنسائي والدار قطني والحاكم .

النية في الصوم

النية في اللغة هي القصد وفي الاصطلاح الشرعي القصد إلى فعل الشيء تقرباً إلى الله تعالى . وبها يحصل التفريق بين العبادة والعادة ، وهي ضرورية لقبول الأعمال وصلاحها ، فلو أمسك إنسان عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس يقصد الاستشفاء ولم يقصد بذلك التعبد لله فلا يعتبر صائما شرعاً وليس له أجر على إمساكه .

فعلى الصائم أن ينوي بصيامه طاعة أمر الله تقربا إليه لنيل رضاه وخوف عقابه يقول ﷺ : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » رواه البخاري ، وروى أيضا الحديث القدسي : « يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي » .

ويلزم الصائم في صيام الفرض تبييت النية من الليل لقول الرسول ﷺ : « من لم يبيت الصيام فلا صيام له » رواه الترمذي والنسائي وغيرهما . وتكون النية بعزم القلب ليلا على الصوم غدا أو بالتسحر . أما صيام النفل فلايحتاج إلى نية الليل لما روت عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عَليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « هل عندكم شيء ؟ »قلت: لا ، قال : « فإني إذن صائم » قالت : ثم أتانا يوما آخر فقلت : يا رسول الله ! أهدى لنا حيس ، فقال: « أدنيه - أي قربيه - فلقد أصبحت صائما » أخرجه مسلم . فهذا يدلنا على عدم وجوب تبييت النية من الليل في صوم النفل ، وإلا لما عزم ﷺ على الصوم بعد بزوغ الفجر .

* * * *

الفصل الرابع

صلاة التراويح

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺيقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » . فقيام رمضان بنية صادقة خالصة رجاء الثواب وتحقيقا لرضوان الله ، سبب في غفران الذنوب .

ولقد سن الرسول ﷺ قيام رمضان جماعة ، ثم تركه مخافة أن يفرض على الأمة فلا تستطيع القيام بهذه الفريضة ، روىٰ البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها : أن الرسول ﷺ خرج ليلة في جوف الليل ، وصلى في المسجد ، وصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع الناس أكثر منهم ، فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا،فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة . فخرج رسول الله ﷺ فصلى ، وصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ، ثم قال : «أما بعد، فإنه لم يَخْفَ عَلَيَّ مكانُكم ولكني خشيت أن تُفرضَ

عليكم ، فتعجزوا عنها » فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ، وبقي الأمر على ذلك خلافة أبي بكر وصدر خلافة عمر . رواه البخاري،وكان الناس يصلون في رمضان في المسجد أوزاعًا متفرقين يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل . ثم عزم ، فجمعهم على أُبي بن كعب وخرج مرة فرآهم مجتمعين يصلون بصلاة أبي ، فقال : نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله ، رواه البخاري . ويعني هنا عمر بـ « البدعة » : البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية ، فإن البدعة لغة تطلق في عالم الشر وعالم الخير ، فيقال : هذا شيء بديع وقد يكون بديعا في عالم الاجرام أو في عالم الخير ، ومن ورودها في القرآن قوله : ﴿ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ فجاء الشارع وخصص اطلاق البدعة في الشرع على ما كان شرا ، ولذلك كان يقول الرسول ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » . و«كل» من ألفاظ العموم فتعم كل بدعة ، ولم يأت مخصص يخص بعض البدع بأنها حسنة كما يزعم بعض الناس ، واحتجاجهم بقول عمر : « نعمت البدعة » قول مردود لأن تعريف البدعة لاينطبق عليها ، فالبدعة : « استحداث عبادة في الدين غير مأمور بها يقصد بها التقرب إلى الله » فهذه الصلاة :

صلاة القيام مشروعة بنص حديث الرسول ، وصلاتها في جماعة مشروع أيضا ، لأن الرسول ﷺ صلاها بالصحابة ثلاث ليال وإنماترك ذلك مخافة أن تفرض عليهم فلما انقطع الوحي أَمِنَ ما خاف منه الرسول ﷺ وهو أن تفرض عليهم وبقيت السنة للجماعة لزوال العارض .

وأما عدد ركعات القيام فالصحيح الثابت أنها إحدى عشرة ركعة ، وقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ ، فقالت : ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يوتر بثلاث » .

ولا تعرف هذه الصلاة التي يصليها الناس اليوم ثلاثا وعشرين ركعة عن الرسول ﷺ ، ونسبتها إلى عمر رضي الله عنه نسبة غير صحيحة ، والأولىٰ بالعبد بل الواجب عليه البحث عن سنة الرسول ﷺ والتزامها ولو هجرها الناس ، ففي ذلك الخير والسعادة . ومما ابتلي به المسلمون في الصلاة ـ صلاة القيام وغيرها ـ السرعة المخلة بالصلاة في قراءة القرآن وفي الركوع والسجود وغير ذلك ، وهذا مخل بالصلاة مذهب لخشوعها وقد يبطلها في بعض الحالات .



الفصل الخامس

ليلة القدر

في حياة الأمم أحداث خالدات ، تحمل لها ذكريات عطرة ، تبهج القلوب ، وتنزل من النفوس برداً وسلاما نزول الماء في جوف الظمآن ، وقد تكون هذه الأحداث انتصارا في معركة ، أو خروجا من محنة ، أو ذكرى حاكم عادل ، أو قائد ملهم ، وعندما تحتفل الأمم بأعيادها التي تذكرها بهذه الأحداث تعبر عن الفرحة النفسية بحركات حسية وأفعال مادية ، فتنصب الأقواس ، وتجملها بالألوان وتدق المزامير والطبول وتقيم المجامع ، وترفع الاعلام ثم يكون جزاؤها على احتفالها بأعيادها لايتجاوز فرحتها بها .

ولقد كان نزول القرآن حدثا ضخما في حياة الأمة المسلمة ، فهو نورها الهادي ، وحياتها الصافية الرقراقة ، وسبيلها إلى العزة والكرامة ، ورافعها إلى قمم المجد والخلود فيه تاريخ حاضرها ومستقبلها ، وفيه تاريخ الأمم من قبلها بما فيه من عبر وعظات ، فيه حياة القلوب ، وبلسم الأدواء التي أعيا علاجها الأطباء ، فيه تحديد لعلاقات أفرادها بعضهم ببعض

وعلاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم ، لذلك كان نزول القرآن حدثا ضخما ترتعش لذكراه القلوب المؤمنة فرحا ، ولذلك كان الشهر الذي أنزل فيه القرآن خير الشهور ، والليلة التي أنزل فيها القرآن خير الليالي . ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ هُدَىً للناسِ وبَيِّناتٍ مِنَ الهُدىٰ والفُرْقَان** ﴾ . ﴿ **إنَّا أنـزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مُبَاركةٍ إنَّا كُنا مُنْذِرين** ﴾ . ﴿ **إنَّا أنْـزَلناهُ في لَيْلَةِ القَـدْرِ ○ وما أَدْرَاكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ ○ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ .

غير أن الأمة لا ترفع لهذه المناسبـة الضخمة أقـواساً ولا تنصب أعلاماً ، ولكنها تتسابق فيه إلى الفضائل ، والمكارم ، فتجتمع فيه لا لتضرب الطبول ، وتنفخ في الأبـواق ، وترقص على وقع الأنغام ولكن لتقيم الصلاة ، وتقرأ القرآن وتتدارسه آناء الليل وأطراف النهار ، يرجع في هذا الشهـر الضال ، ويؤوب المذنب ، فيكثر فيه ذكر الله ، والدعاء والابتهال ، وكفى بقدر ليلة القدر أنها خير من ألف شهر ، وأن القائم فيها إيمانا واحتسابا يُغفر له ما تقدم من ذنبه ، وأن ملائكـة السماء ومعهم جبـريل يهبطون إلى الأرض ، وناهيك بنزولهم بركة وخيرا وفيها ﴿ **يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ .

أي ليلةٍ ليلةُ القدر : ـ

وقـد عَرَّفَهَـا الله نبيه محمـداً ﷺ ثم حدث مـا تسبب في

رفعها ، فعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة . » .[1]

وقد كان الرسول ﷺ يعتكف العشر الأوسط من رمضان لغلبة ظنه أنها فيه ثم اعتكف العشر الآخر منه وأمر بالتماسها فيه وفي الوتر منه . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر التي في الوسط من هذا الشهر ، فإذا كان حين يمسي في عشرين ليلة تمضي ، ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ، ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع منها ، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله ثم قال : « كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لي أن أجاور العشر هذه:العشر الأواخر ، فمن كان اعتكف معي فليلبث في معتكفه ، وقد أريت هذه الليلة ثم أُنسيتها فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين . » فاستهلت السماء في تلك الليلة ، فأمطرت فوكف المسجد في مصلى النبي ﷺ ليلة احدى وعشرين ، فبصرت عيني - نظرت إليه - انصرف في صلاة الصبح ووجهه ممتلىء طينا وماء . رواه البخاري .

---

(١) مراده في تاسعة تبقى او سابعة تبقى أو خامسة تبقى .

وقد رأى كثير من الصحابة ليلة القدر وأنها في العشر الأواخر ، ولذلك قال لهم الرسول ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » .

وكان الرسول ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله ، وقد سألت عائشة رضي الله عنها الرسول ﷺ ماذا تقول إن علمت ليلة القدر ، فقال لها : « قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

الصيام المستحب

ينال العبد محبة الله ورضاه وجنته بأداء التكاليف التي كلف الله بها عبيده وهي الفرائض الواجبة ، ففي الحديث القدسي : « وما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضته عليه » . فإذا أحب العبد أن يصعد في معارج الكمال ويتبوأ منزلة عالية ، فالسبيل المؤدي إلى ذلك الاكثار من النوافل ، ففي الحديث أيضا : « ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » ، ومِن أَحَبِّ العبادات إلى الله الصوم ، يقول الرسول ﷺ : « ومن صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا » . رواه مسلم وغيره .

وهناك أيام صيامها أكثر من غيرها أجرا وثوابا ، فمن هذه الأيام الفاضلة المستحب صيامها : صيام يوم عرفة لغير الحاج ، وصيام يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من محرم ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصوم الاثنين والخميس . روى مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » ، وعن عائشة قالت : « إن النبي - ﷺ - كان يتحرى صيام الاثنين والخميس » رواه الخمسة إلا أبا داود ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ,

وروى أبو قتادة أن النبي ﷺ سئل عن صوم الاثنين فقال : « ذلك يوم ولدت فيه وأنزل عليَّ فيه » رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

وهناك شهور ، الصوم فيها أفضل من الصوم في غيرها من الشهور ، من ذلك شهر شعبان وشهر المحرم . سئل رسول الله ﷺ : أي الصيام بعد رمضان أفضل ؟ فقال : « شهر الله المحرم » رواه مسلم وغيره .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن النبي ﷺ يصوم أكثر من شعبان ، فإنه كان يصومه كله.وفي لفظ : ما كان يصوم في شهر ما كان يصوم في شعبان ، كان يصومه إلا قليلا ، بل كان

يصومه كله . وفي لفظ : ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان . وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان. رواه البخاري ومسلم .

ويستحب اتباع رمضان بست من شوال ، فعن أبي أيوب عن الرسول ﷺ : « من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فذاك صيام الدهر » رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي .

ويستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر فعن أبي قتادة:قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيامكم الدهر » رواه أحمد ومسلم والنسائي .

والأَولىٰ أن تكون هذه الأيام الثلاثة هي الأيام البيض ، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، فعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر ! إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ». رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه ابن حجر وابن حبان .

وأفضل الصيام صوم يوم وفطر يوم ، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام لعبدالله بن عمرو بن العاص : « صم يوما وأفطر يوما ، فإنه أفضل الصيام ، وهو صوم أخي داود » رواه البخاري ومسلم .

خاتمة

وبعد أخي القارىء ، فما أتينا في هذه الرسالة بجديد لم يقل ، فقد كتب العلماء في الصوم وأعادوا ، ومع ذلك فالكل منهله الكتاب والسنة ، فهما الينبوع المتدفق الذي يصدر عنه الجهابذة .

وكان الدافع إلى هذه العجالة التناصح والتذكير ، لعل القلوب ترجع إلى ربها ، وتعرف طريقها ، وتهتدي إلى الصراط المستقيم .

ووصيتي أخي إليك وإلى نفسي ، هي وصية رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا : كتاب الله وسنتي » فهل نستجيب . .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

* * * *



الفهرس

الفصل الأول

فضائل الصوم وحكمته

الصوم ينشىء التقوى في القلوب ٧

الصائم يوفي أجره بغير حساب ٩

الصيام يمنع من الذنوب ١٠

حكمة بالغة للناظر المعتبر ١١

طيب ريح فم الصائم ١٢

باب في الجنة للصائمين ١٣

شهر تفتح أبوب الخير وتغلق أبواب الشر ١٣

الصوم يغفر الذنوب المتقدمة بشرطين ١٤

الفصل الثاني

فرض الصوم على أحوال

الآية الموجبة للصيام ١٥

كيف كان الصوم قبل فرض رمضان ١٥

الصوم بعد فرض رمضان ١٦

الفصل الثالث

المدة التي يمسك فيها الصائم

كان الافطار في البداية إلى النوم ثم نسخ ذلك ١٩
المراد بالخيط الأسود والأبيض ٢٠
السنة تعجيل الفطر وتأخير السحور ٢٠
تأخير الفطر وتعجيل الامساك من التنطع في الدين ٢١
صيام الصبيان وتأديبهم ٢١
الأعذار المبيحة للفطر ٢٤
الرخصة للمريض والمسافر ٢٥
أيهما أفضل الفطر أم الصوم للمسافر ٢٦
متى يجب أن يفطر الصائم ٢٧
نوع السفر والمرض اللذين يباح الفطر بهما ٢٨
صيام المسافر بعد تيسر سبل المواصلات ٢٨
وجوب افطار الحائض والنفساء ٢٩
حكم الحامل والمرضع ٢٩
الكبير الهرم، والمريض المزمن ٣٠
من أكل أو شرب ناسياً ٣٠
من أفطر متعمداً بجماع ٣١
من أفطر متعمداً بطعام أو شراب ٣٢

ماذا يجب على المفطر عمداً ٣٢
حكم السواك للصائم ٣٣
المضمضة والاستنشاق للصائم ٣٣
إذا دخل الماء في حلقة أثناء المضمضة بدون ارادته ٣٣
القيء من الصائم ٣٣
الحجامة ٣٤
الحكمة في تعليق الصوم برؤية الهلال ٣٥
تغيير الأمم السابقة لدينها وسببه ٣٥
يكفي في الرؤية قول واحد ٣٥
اختلاف المطالع ٣٦
أفضل ما يشغل به الصائم نفسه ٣٦
تسحروا فإن في السحور بركة ٣٨
على أي شيء يفطر الصائم ٣٩
دعاء الصائم حين فطره ٣٩
النية في الصوم ٣٩

الفصل الرابع

صلاة التراويح

هل جمع عمر الناس على صلاة القيام بدعة؟ ٤٢
تعريف البدعة ٤٢
عدد ركعات صلاة التراويح ٤٣

الفصل الخامس

ليلة القدر

كيف تفرح الأمم بالمناسبات العظيمة ٤٥
مخالفة هدى المسلمين لهدي غيرهم ٤٦
فضل ليلة القدر ٤٦
أي ليلــة هي ٤٦
الصيام المستحب: الصيام الأسبوعي والشهري والسنوي ٤٨
الخـــاتمـــة ٥١
الفهـــرس ٥٣